ﭐ ﭑ ﭒ

أهميـة الأسـرة

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنـزيل : ﴿ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ [التحريم:٦].

أيها الإخوة الكرام: هذه سلسلة خطب جديدة، عنوانها: **الأسرة والتربية**، وسبب اختياري لهذا الموضوع: أننا اليومَ أحوجُ ما نكون إلى أُسرٍ صالحة، وإلى تربية صالحة، ولأن أعداءَنا اليوم -وهم يحاربوننا- يوجهون سهامهم إلى أسرنا لتفكيكها، وإلى تربيتنا الإسلامية لتقويضها، ولأنني أرى -كما ترون- عدداً من أسرنا تركت واجب التربية، واكتفت بواجب التغذية، ولأن المجتمع -كما تعلمون- هو مجموعة أُسَر، والأسرة مجموعة أفراد، وإذا صلح الفرد صلحت الأسرة، وصلح

المجتمع، والعكس صحيح، يقول ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: (إن الدول ترقى وتنحطّ بقدر ما تكون الأسر فيها قوية أو ضعيفة).

لكل هذا اخترت لكم هذه السلسلة: الأسرة والتربية، ولئن كانت السلسلة الماضية: **كيف تصبح ولياً** معنيّةً بصلاح الفرد، فهذه السلسلة **الأسرة والتربية** معنيةٌ بصلاح الأسرة، وأول ما نتحدث في هذه السلسلة مستعينين بالله تعالى، أن أحدثكم عن أهمية الأسرة, فعنوان خطبة اليوم**: أهمية الأسرة.**

الأسرة نظام فطري تنشأ فيه أول خلية اجتماعية تبدأ بالزوجين، وتمتد حتى تشمل الأبناء والبنات، والإخوة والأخوات والأقارب جميعاً، ولقد عُني الإسلام أشد العناية بتنظيم الأسرة، وببيان أحكامها، دعماً لوجودها، وحفاظاً عليها، ففي القرآن الكريم مئة وستٌ وأربعونَ آية تتحدث عن الأسرة، في آيات النكاح والصَّداق، والحمل والإرضاع والأولاد، والطلاق والعِدَد، وحقوق الوالدين، وصلة ذوي القربى والأرحام.

والفقه الإسلامي يعطي فقه الأسرة ربعَ المادة الفقهية الإسلامية، فتتحدث كتب الفقه عن الأسرة، والزواج وحقوق الزوجين، وحقوق الأولاد، وأحكام انحلال الزواج، وأحكام أموال الأسرة من نفقات، وميراث ووصايا، وأوقاف.

أما الحديث النبوي الشريف فلكثرة مادة الأسرة فيه، لم أستطع أن أضبط رقماً فيه عددُ الأحاديث التي تتحدث عن الأسرة، وحتى أنني لم أستطع أن أقدر حجم المادة في حديث رسول الله ﷺ التي تتحدث عن الأسرة.

إن الأسرة مهمة جداً، ولقد دعا الإسلامُ -كما تعلمون- إلى الزواج، وحض عليه؛ لأنه يعرف أهمية الأسر في صلاح المجتمعات «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»[1]، وبارك الإسلام في من يدعم زواج الشباب والشابات قال رسول الله ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه»[2]،

---

[1](1) أخرجه البخاري: 4778، ومسلم: 1400، والترمذي: 1081، والنسائي: 2239، وابن ماجه:1845، ومن حديث ابن مسعود.

[2](?) أخرجه الترمذي:1084، وابن ماجه:1967، من حديث أبي هريرة d.

وعنّفَ أولئك الذين يرغبون عن الزواج، عنّفَ الشباب الذين يقولون: لا نريد الزواج، وعنف البنات اللواتي يقلن: لا نريد الزواج، وشدَّد على الآباء والأمهات الذين لا يُعينون أولادهم أو بناتهم على الزواج، عن أنس بن مالك d قال: أن ثلاثة نَفَر جاؤوا إلى بيوت رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته، فسألوا وأُجيبوا، فكأنهم تقالُّوها -قالوا:هذه عبادة قليلة- ثم قالوا: وما عليه! فقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أولهم: أما أنا فسوف أصوم ولاأفطر، وقال الثاني أما أنا فسوف أقوم الليل فلا أنام، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء، بلغت مقالتُهم رسولَ الله ﷺ، فعنَّف عليهم، وقال: «ما بال أقوام يقولون: كذا وكذا، أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء, فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1]

ولقد حض الاسلام الزوج على الإحسان إلى زوجته، حتى تبقى الأسرة متماسكة «لا يكرمهن إلا

---

[1](?) أخرجه البخاري:4776، ومسلم:1401، والنسائي:3217، وأحمد: (3/241)، من حديث أنس بن مالك d.

كريم»[2]، «خياركم خياركم لنسائهم»[2] وأمر الاسلام الزوجةَ بإكرام زوجها ورعايته, حفاظاً على تماسك الأسرة «لاينظر الله تبارك تعالى إلى امرأة لا تشكر زوجها»[3] وكره الاسلام الطلاق «وأبغض الحلال إلى الله الطلاق»[4] وأوعد المرأة التي تسأل زوجَها الطلاقَ من غير حاجة، أوعدها بالنار «أيما امرأة سألت زوجَها الطلاقَ من غير بأس فحرامٌ عليها رائحة الجنة»[5] ذلك أن الطلاق هدم للأسرة، وقد حث الإسلام على رعاية الأولاد، والإنفاق عليهم، ففي الحديث: «دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله, ودينار أنفقتَه في رقبة -لعتق رقبة- ودينارٌ أنفقتَه صدقةً على مسكين،

---

[1](?) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق": (13/313)، من حديث علي بن أبي طالب d.

[2](?) أخرجه الترمذي:1162، وابن ماجه:1978، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص d.

[3](?) أخرجه النسائي في "السنن الكبرى": 9135، والحاكم في "المستدرك": (2/207)، والبيهقي في "السنن الكبرى":14497، من حديث عبد الله بن عمرو d.

[4](?) أخرجه أبو داود:2178، وابن ماجه:2018، من حديث عبد الله بن عمر ب.

[5](?) أخرجه أبو داود:2226، والترمذي:1187،وابن ماجة:2055، وأحمد: (5/277)، من حديث ثوبان d.

ودينارٌ أنفقتَه على أهلك, أعظمُها أجراً الذي أنفقتَه على أهلك، واللقمةُ يرفعها الرجل إلى فم زوجته له بها أجر» [1]وكذلك دعا الاسلام إلى رعاية الوالدين وبرّهما، فأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى «الصلاة على وقتها, ثم بر الوالدين, ثم الجهاد في سبيل الله تعالى»[2]، وعزّز الإسلامُ صلة الأرحام من أعمام وعمات، وأخوال وخالات، وإخوة وأخوات «إن الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[3].

أيها الإخوة الكرام: هكذا اهتم الإسلام بالأسرة، وهكذا دعا إليها، وهكذا شجع على إنشائها, لأنها أساس بناء مجتمع قويم، وإذا سلِم الأساسُ سلم البناء، أما المجتمعات غير الإسلامية شرقيةً كانت أو غربيةً، فإنها أهملت الأسرة واهتمت بوسائل الإنتاج، إنها أهملت الزوجة وشجعت الصاحبةَ والخليلةَ،

---

[1](?) أخرجه مسلم:995، والنسائي في"السنن الكبرى":9183، وأحمد: (2/473)، من حديث أبي هريرة d.

[2](?) أخرجه البخاري:504، ومسلم: 85، وأحمد: (1/409) من حديث ابن مسعود d.

[3](?) أخرجه مسلم:2555، من حديث عائشة ل.

أهملت الزوج واهتمت بالصديق والـ [boy friend]، أهملت الأم والأب واهتمت بدُوْرِ العَجَزة، أهملت الأولاد واهتمت بِدُورِ اللقطاء، نددت بالعفة والستر والاحتشام، وشجَّعتْ التبرج والزنا والفاحشة، عابت على المرأة المسلمة زواجها، والتزامها ببيتها وحملها ورعايتها لأولادها، وأقرَّت الإجهاضَ والرحمَ المستعار، وعارضات الجسد، نشرت نواديَ للشذوذ، ونواديَ لتبادل الزوجات، وشركات لإدارة بيوت الدعارة، وتجارة الرقِّ الأبيض... وكانت النتيجة: أن هُدمت الأسرة عندهم، وضاع البناء الاجتماعي يقول مفكّروهم اليوم: (إنَّ العالَم الغربيَّ يحتضر) نشرت مجلة نيوزويك الغربية -النسخة العربية منها- تحت عنوان عريض: (غير متزوجات ولديهنَّ أطفال!). يقول التقرير: تـُظهر الأرقام التي نـَشَرها قبل أسبوعين الإحصاءُ السكاني أن عدد العائلات في أميركا التي ترأسُها أمهاتٌ غير متزوجات قد ازداد بمعدل 25%، لتصل إلى ما يربو على سبعة ملايين ونصف مليون أسرة من امرأة عندها أولاد وليست متزوجة! وخلال 10سنوات مضت كان عدد الأطفال

الذين وُلدوا في أسر غير المتزوجات نحو ثلث إجمالي المواليد، كلما رأيتُ ثلاثةً من الأمريكان، أعلمُ أن واحداً منهم ليس ابناً لي، كما أن عدد الآباء غير المتزوجين الذين ينجبون أطفالاً لوحدهم يزيد على مليوني عائلة، بينما الأسر التقليدية التي تربي أطفالها فإنها تشكّلُ أقلَّ من ربع إجمالي عدد الأسر، لذلك قالت المؤرخة والمؤلفة، والباحثة الأميريكية «ستيفا نيكولتن» وهي مدرَّسة تاريخ العائلة في إحدى جامعات ولاية واشنطن قالت: «يجب علينا أن نشجع ونحض ونقدم الحوافز، ونضغط على الشباب حتى يتزوجوا، ويشكّلوا أُسَراً وإلا فإن المجتمع الأميركي ذاهب نحو الهاوية».

وتنشر صحائف مواقع الإنترنيت، وبشكل دوري أرقاماً سوداءَ تتحدث عن الأُسر، وعن وضع النساء والرجال والأطفال عندهم، واخترت لكم من هذه الأرقام ما يلي:

ازدادت نسبة المواليد غير الشرعيين في بعض مناطق انكلترا عن 50% أما في روسيا فإن ربع المواليد غير شرعيين.

75% من الأميريكيات يشعرن بالقلق لانهيار القيم، وتفسخ العائلة.

80% من نساء السويد، يرتكبن الزنا.

في أمريكا مليون طفل يولد سنوياً من السِّفاح، واثنا عشر مليون طفلٍ مشردٍ في ظروف غير صحية، ومليون حالةِ إجهاض سنوياً.

75% من الغربيات يتعاطين المخدرات، وارتفعت نسبة التدخين بين النساء إلى 95%.

وغيرها من الأرقام, كلُّها لأن الأسرة عندهم قد هدمت, أرأيتم إلى أهمية الأسرة! من أجل هذا أيها الإخوة، حتى لا يتساقط المجتمع، وحتى لا ينهار البناء، وحتى لا تتقوَّضَ أَواصرُ الأسرة دعا الإسلام إلى الأسرة، ورغب في إنشائها، ورعاها، وصانها.

وفي نهاية هذه الخطبة، وبعد أن رأينا حال الأسرة عند الإسلام والمسلمين، وعند غير المسلمين، ما المطلوب منا ؟

المطلوب منا ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن لا ننساق وراء ما يأتينا من عند غير المسلمين مما يدعونا إلى ترك الزواج، أو إلى

تأخيره، أو إلى خروج نسائنا متبرجات، أو إلى الزواج المدني، أو إلى سحب ولاية الأب عن ابنته, أو نحو ذلك مما ترسله إلينا وسائلُ الإعلام غير المسلمة.

والأمر الثاني: أن نحافظ على أُسرنا وعلى أولادنا، وعلى بناتنا، وعلى زوجاتنا وأزواجنا، وعلى إخوتنا وأخواتنا ﴿ ۋ ۉ ۉ ې ﴾.

والأمر الثالث: أن نشجع زواج أبنائنا وبناتنا، وشبابنا وشاباتنا عموماً، لنبدأ معاً رحلة الأسرة والتربية.

والحمد لله رب العالمين